

# قِسَا

من القرآن الكريم

جمع وإعداد

إبراهيم محمد الياضي



قَبَسْنَا

من القرآن الكريم



لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

# قِسَا

من القرآن الكريم

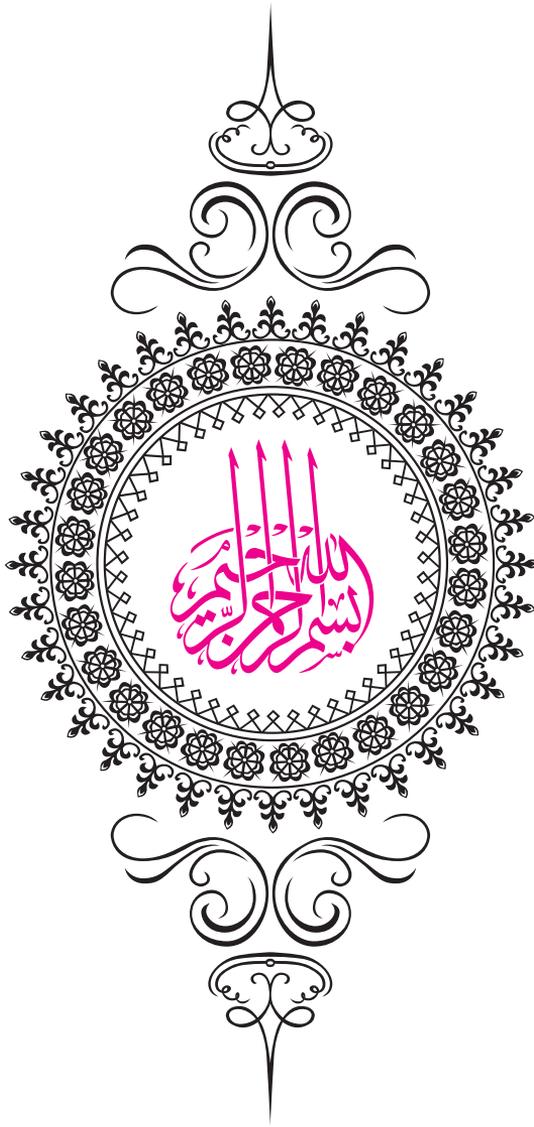
تأليف

إبراهيم محمد اليافعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

[القمر: ١٧]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المفترمة

الحمد لله الكريم الوهاب، الذي أنزل القرآن هدايةً وتبصرةً لأولي العقول والألباب، والصلاة والسلام على الذي أرسله ربه؛ ليخرج الناس من الظلمات والجهل والارتباب، إلى نور السنة والكتاب... **أما بعد:**

فإن القرآن نور مبين يُستضاء به في أمور الدنيا والدين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصفه الله بأنه روح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾ [الشورى: ٥٢].

وهو جبل الله المتين؛ من تمسك به نجا، ومن حاد عنه ضل؛ فعن أبي شريح الخزاعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: خرج علينا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: «أبشروا أبشروا؛ أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قالوا: نعم. قال: «فإن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً».

وحسب القرآن شرفاً ورفعةً وقداًسةً أنه كلام العظيم الحي القيوم سبحانه، الذي تحدى به الثقيلين من الإنس والجن؛ فقال عن كلامه: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وكما للقرآن من مكانة وشرف؛ فإن الاهتمام به -قراءةً ودراسةً وتدریساً وفهماً وتأليفاً وتطبيقاً وتدبراً- شرف أيضاً؛ ولأجل نيل هذا الشرف

- بإذن الله-؛ اقتبست هذه القبسات والأنوار؛ لأنال وتنال -أيها القارئ الكريم- الشرف والرفعة عند الله، ولننجو بأنفسنا من الفئة التي شكا الرسول **صلى الله عليه وسلم** إلى ربه منها بأنها هجرت القرآن؛ فقال الله على لسان نبيه: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهذه القبسات كنت أنشرها يومياً في شهر رمضان وبعد رمضان على شكل حلقات في مواقع التواصل الاجتماعي، ولما رأيت أنها حلقات متناثرة هنا وهناك؛ قررت جمعها في كتاب؛ لتعم فائدتها؛ فهي قبسات تنفع القارئ، وتنفع الخطيب والواعظ؛ لأن بعض القبسات -إن لم تكن كلها- تصلح كل واحدة منها أن تكون خطبة جمعة مكتملة العناصر.

**ملاحظة:** كل الأحاديث التي أوردتها في الكتاب صحيحة، فقبل أن أكتب أي حديث بدأت بالتحقق من صحته، ولم أنقل أي حديث ضعيف أو موضوع؛ ليكون القارئ على اطمئنان أن يقرأ الأحاديث أو يستشهد بها، وقد أعزت كل الأحاديث إلى روايتها، فما كان عند البخاري ومسلم أو عند أحدهما أكتفي بهما، حتى وإن كان الحديث موجوداً عند غيرهما.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، إنه جواد كريم.

**إبراهيم محمد اليافعي**

شوال ١٤٤٣هـ

اليمن - يافع - المفلحي

اتصال وواتساب: ٠٠٩٦٧٧٣٩٨٠٢١٥٣

(١)

## ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾

**الحسد:** هو تمني زوال نعمة الغير.

والحسد مانع من موانع الهداية، وسبب من أسباب البغي والاعتداء؛ حيث ذكر الله في كتابه الكريم أن حسد أهل الكتاب للعرب والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب من أسباب عدم إيمان أهل الكتاب بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقائهم على الكفر، مع معرفتهم التامة - كما يعرفون أبناءهم - أنه رسول الله، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وذكر الله أن الحسد هو الذي دفع قاييل لقتل أخيه؛ قال الله عنهم:

١- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ... ﴾ [البقرة: ١٠٩].

٢- ﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٠٥].

٣- ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] فحسدوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العربي على نبوته؛ لأنهم كانوا يريدون أن يكون من بني إسرائيل.

٤- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَشْرًا أَلِيسَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٩٠] بغياً؛ أي حسداً؛ أي أن الحسد هو الذي دفعهم إلى عدم الإيثار بمحمد ﷺ.

٥- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] فالله تقبل هذه العبادة والقربان من هابيل ولم يتقبل من قابيل؛ فحمله حسده لأخيه على قتله وارتكاب جريمة البغي والفساد في الأرض، وبسبب هذه المعصية يتحمل نصيباً من إثم كل قتل يحصل في الأرض؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ (نصيب) مِنْ دَمِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» [رواه البخاري ومسلم].



(٢)

## (المتبوعون والأتباع)

ما أعظم الحسرة عندما يفني الإنسان عمره في خدمة ظالم، أو الترويح له، أو التبرير لظلمه، أو يكون تابعاً لأهل الضلال، وهناك الحسرة والندامة حيث لا ينفع ندم ولا حسرة؛ حين يتبرأ المتبوعون من أتباعهم، وحين يتبرأ الظلمة من جنودهم وعساكرهم وأعوانهم في الظلم وإضلال الناس؛ قال الله وهو يصور هذه المشاهد وهذه الحسرات:

١- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَنَتَّبِعَ اللَّهُ مَنَّا كَمَا يَنْتَبِعُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْبَيْتِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَالِدِينَ فِيهِ ﴿١٣٧﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

تبرأ المتبوعون والقادة والملا من أتباعهم، وتقطع وانفصل وانتهى ما كان بينهم في الدنيا من صلوات ومصالح، وانقلبت عليهم يوم القيامة حسرة وندامة؛ وحينئذٍ فالأتباع والرّعاء وأبواق الظلمة والضّلال يتمنون أن يردّوا إلى الدنيا فيتبرؤوا من المتبوعين؛ ولكن هيهات.

٢- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

أي ليس لنا ولا لكم من مهرب ولا نجاة من العذاب.

٣- ﴿وَإِذْ يَتَحَابَّرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

٤- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

أي كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً، وتخبرونا أننا على هدى؛ إذ تحسبون لنا الكفر والضلالة، وتدعوننا إلى ذلك، وتقولون: إن ذلك هو الحق، فما زال مكركم بنا وكيدكم إيانا؛ حتى أغويتمونا وفتنتمونا.

٥- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

آداركوا؛ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء والمقلدين الأتباع؛ فيسأل أخراهم؛ أي الأتباع والسفلة والرعا، يسألون الله أن يضاعف لأولاهم العذاب، وأولاهم؛ هم سادتهم وزعمائهم، سألوا لهم مضاعفة العذاب؛ لأنهم هم الذين شرعوا وزينوا لهم الضلال، فأراد الأتباع أن يكون رؤوس الضلالة والطغيان هم أولى بعقوبة

أشدُّ من عقوبة الذين قلَّدوهم واتبعوهم؛ لكن من كانوا رؤساء وسادة يتبرؤون من أتباعهم بقولهم ﴿ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أي: قد اشتركتنا جميعاً في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأبي فضل لكم علينا؟ ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأئمة الضلال أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الأتباع، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٨٨] فلهم عذاب الكفر وعذاب الصد عن دين الله.

٦- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّلْنَا مِنْ بَيْنِنا وَأَلَلَّنا ﴾ [فصلت: ٢٩].



(٣)

## ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

لم يذكر الله كرامة وفضلاً ومنزلة كما ذكر ذلك فيما أعده الله للشهداء والمقاتلين في سبيله؛ الذين بذلوا أعلى ما يملكون؛ وهي نفوسهم.

**هل تعلم أن الله -الكريم الجواد- يشتري؟**

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...﴾ [التوبة: ١١١].

أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع؛ فاشترى الله سبحانه من العباد بذل أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته؛ وأعطاهم سبحانه الجنة عوضاً عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عَوْضٌ عظيم؛ فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الشراء والثواب.

وفضّل الله مقام المجاهدين على القاعدين عدة مرات؛ فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

**بشارة أخرى يبشّر الله بها الشهداء؛ فقال:**

- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن

لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

فالمجاهد عندما يقتله أعداؤه لا يعني أنهم أنهوا حياته؛ بل إنهم نقلوه من حياة إلى حياة أخرى هي أفضل من الحياة الأولى التي كان فيها في دار التعب والبلاء.

- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿[آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

من شدة فرحهم وما وجدوه في هذه الحياة السعيدة التي يعيشونها بعد استشهادهم يتمنون أن ينقلوا هذه المشاعر إلى إخوانهم المؤمنين الذي لا يزالون على قيد الحياة في الدنيا؛ ليحرص إخوانهم في الجهاد والإيمان على نيل الشهادة؛ فكان سبب نزول هذه الآية؛ ما رواه أبو داود في الحديث الصحيح عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لما أُصِيبَ (أَي قُتِلَ) إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ؛ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلُوقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرِبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أحيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ لئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ؟ فَقَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ: أَنَا أَبْلُغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...﴾».

ما هي الخاتمة التي تمنها الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن تكرر عليه عدة مرات؟ لم يتمن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خاتمة أن تكرر عليه عدة مرات كما تمنى ذلك في أن يختم الله له بخاتمة الشهداء؛ فقال: «والذي نفس محمد بيده

لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» [رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة].

- وللمجاهد في الجنة؛ المقام السامي والمنزلة الرفيعة؛ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض...» [وروى مسلم بلفظ قريب منه].



(٤)

(لعله خير)

- هل كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم أن رمي إخوته له في البئر، ومشكلته مع زوجة العزيز، ومكوثه في السجن... أن كل هذه الأمور كانت مقدمات لرفعته والتمكين له في أرض مصر من الجاه والسؤدد والإتيان بأبيه وأمه وإخوته من فلسطين إلى مصر ليعيشوا في رغد من العيش، بعد مرحلة عاشوها في الفقر والحاجة؟.

\* قد يخرجك الله من ضيق في وقت لم تحتسبه، وبأمر سهل لم يخطر على بالك؛ فتعير رؤيا عبّر بها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت سبب نجاته من السجن.

- لم يكن يعلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن خروجه من مصر ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ في الشمس والحر والجوع والضمأ لا يعرف إلى أين يذهب... أن عناءه وتعبه وخوفه كان مقدمة لياوي إلى بيت شيخ كبير في مدين ويزوجه ابنته، فتكون النتيجة؛ بيت يأوي إليه ويأمن به، وزوجة تحن عليه.

- لم يكن يعلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عندما أضع الطريق ليلاً - هو وزوجته وهما عائدان من أرض مدين إلى مصر - أن تضييع الطريق كان تقدير من الله له؛ ليرى النار ويذهب إليها ليأخذ قبساً من نارها ليدفأ بها هو وزوجته، وليستضيء بها ولعله يجد مسافرين حول النار؛ ليستأنس بهم في هذه الليلة الباردة المخيفة؛ لكن موسى وجد شيئاً لم يكن يتوقعه؛ حيث أكرمه ربه بأن كلمه وجعله كليماً له وفضّله بالنبوة وأعطاه معجزة العصا وغيرها من تلك اللحظة.

أحياناً قد يكون الخير يظهر لك في البداية على هيئة شر - حسب تفكيرك ونظرك- لكنه في مآله ومستقبله إلى خير؛ فقيام الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بخرق السفينة، رأى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا العمل أنه شر لا خير فيه؛ لكن عاقبته حماية السفينة من ملك كان يأخذ السفن التي تمر بالقوة والغضب؛ لكنه كان يترك أية سفينة يوجد فيها عيب؛ فكانت خير هؤلاء المساكين الذين يمتلكون السفينة.

كذلك قتل غلام بريء كان ظاهره شر وجريمة في نظر موسى لكنه في عاقبته ومآله خير؛ فقد علم الله في سابق علمه أن هذا الغلام -الوحيد مع أبويه- لو كبر وبلغ فإنه سيكون كافراً؛ وسيكون كفره سبباً لكفر أبويه الصالحين، حيث حبهما له ومحاوله إرضائه يحملهما ويدفعهما على متابعتة على الكفر؛ فكان في قتله قبل سن البلوغ والتكليف خير لهما وله.

- لما تكون العلاقة بين الزوجين قائمة على سوء المعاشرة، ولم يقبل كلاهما أو أحدهما الصلح، ووصلت وساطة المصلحين إلى طريق مسدود؛ فقد جعل الله الطلاق فيه خير للزوجين، أفضل من هذه العلاقة القائمة على التنافر وسوء المعاشرة.

مع أن الطلاق ظاهره شر لهما؛ لكن الله قال لعله خير في قادم الأيام؛ فقد يكون من نصيب الزوج زوجة أخرى يعيش معها في حال أفضل، وقد يكون الطلاق للمرأة خيراً، فربما تعيش مع زوج آخر أفضل من الزوج الأول؛ قال الله ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

(٥)

## (القرآن وحماية الفضيلة)

سد القرآن أي باب من أبواب الرذيلة؛ لحماية الفضيلة وحماية الأعراس من الدنس والفساد؛ فنجد في القرآن عشرات الآيات التي تأتي في إطار حماية الفضيلة والأعراس؛ فمن ذلك:

١- جعل عقوبة الزنى، وجل العقوبة تُقام أمام طائفة من الناس؛ لتكون عبرة لمن يعتبر، ولحماية المجتمع من مسالك الانحراف الأخلاقي.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةٌ لَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

٢- لم يكتفِ القرآن بجعل عقوبة على فاعل الفاحشة؛ إنما رتب -أيضاً- عقوبة على قائل الفاحشة؛ فجعل الله عقوبة ذنبوية؛ هي حد القذف، وأخروية؛ هي اللعنة؛ ليكون في ذلك صيانة لأعراض الناس ومكانتهم في المجتمع؛ فقال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

٣- سد القرآن أي باب أو وسيلة يكون مآلها فعل الفاحشة والاطلاع على عورات الناس؛ فأمر الله بحماية النظر؛ لأنه بريد الزنى، وأمر الله المرأة

المؤمننة بالستر والحشمة، بل أعمق من هذا؛ أمر الله أن لا يكون في مشي المرأة عملية إثارة للرجل ولفت انتباهه بأن هناك امرأة تمر من هذا المكان؛ فقال الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ إلى أن قال الله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ...﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ألا تلاحظ أن الله قرن النظر بحماية الفرج؛ فجعل حفظ النظر هو أول أسوار حماية الفرج، وأن إطلاق المجال للنظر؛ هو هدم لأول أسوار حماية العفة.

وأمر الله المرأة بأن لا تلبس في رجليها أشياء فيها لفت أنظار الرجال؛ فقد كانت المرأة في الجاهلية تمشي في الطريق وفي رجليها خلاخل (من أنواع الخلي والزينة)، كانت تضرب برجليها الأرض؛ فيعلم الرجال طينته وصوته؛ لتشير بذلك انتباه وأنظار الرجال؛ فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك. ويدخل في ذلك أي إثارة انتباه للرجل نحو المرأة؛ من لباس وعطر وزينة وغير ذلك.

٤- من الوسائل القرآنية لحماية الفضيلة؛ شدد الله على المرأة المؤمنة أن تكون حريصة حتى في أسلوب كلامها مع الرجل؛ فقد منع الله نساء النبي **صلى الله عليه وسلم** من لين وخضوع الكلام مع الصحابة - وهم خير جيل وهن خير نساء-؛ لكن مع هذه الخيرية في هذا الجيل الفريد سد الله أي منفذ من منافذ الزيغ والرذيلة؛ فقال جل شأنه: ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتِنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٥- حذّر الله عباده من دعاة الفجور والشهوات؛ فقال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

٦- ولأجل تعليم الجيل على الستر والعفة والفضيلة؛ أمر بتعويدهم على آداب الاستئذان؛ لئلا يطلّعوا على عورة من العورات؛ قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

٧- والعنوسة؛ وهي التأخر بالزواج، لما كانت سبباً من أسباب الفاحشة؛ أمر الله عباده بالإسراع في تزويج الأيامي؛ لتحسينهم؛ فقال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور: ٣٢]. الأيامي؛ الرجل الذي لا زوجة له، والمرأة التي لا زوج لها.

٨- أمر الله المؤمنين بالالتزام بآداب الاستئذان عندما يريدون أن يدخلوا بيتاً من البيوت؛ لئلا يكون الدخول بدون استئذان فيه الاطلاع على العورات؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].



(٦)

## (الأدب مع الله)

أتى القرآن بعدة أمثلة عن التأدب مع الله وتنزيهه عن النقائص؛ فذكر لنا القرآن الكريم عدة أمثلة على ذلك:

١- قال الله على لسان إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

فانظر إلى إبراهيم كيف نسب الخلق والهداية، ونعم الأطعمة والأشربة، والشفاء لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لكنه في المرض قال: ﴿مَرَضْتُ﴾؛ فنسب المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى ربه؛ تأدباً مع الله جل شأنه، مع أن المرض والشفاء من الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

٢- موقف آخر يعلمنا الله فيه الأدب معه ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

تأمل كيف أنه نسب الرفعة إليه في قوله (رفعناه)؛ لكنه في مقام النقص والعيب نسب ذلك إلى هذا الشخص فقال (انسلخ) و (أخلد). مع أن الكل من الله -تعالى- لكن فيه تعليم العباد حسن الأدب. وفي هذا السياق يقول نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الخير كله في يديك والشر ليس إليك...» [رواه مسلم].

٣- وهنا يضرب لنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلاً من أمثلة التأدب مع الله؛ فالضر الذي أصابه نسهه إلى الشيطان مع أن الأقدار بيد الله؛ فقال الله عنه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١].

٤- موقف آخر من الأدب مع الله؛ حيث قالت الجن متأدبة: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠]؛ فنسبت الخير والرشاد إلى الله، ونفت عنه الشر وأتوا بصيغة المجهول في قولهم: ﴿أَشْرٌ أُرِيدُ﴾.

٥- انظر إلى الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف نسب خرق السفينة إلى نفسه ولكن حفظ كنز الغلامين اليتيمين نسه إلى الله؛ مع أن الفاعل في كلتا الحالتين هو الخضر؛ قال الله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾ [الكهف:٧٩] فنسب عيب وخرق السفينة إلى نفسه؛ لكنه نسب الخير إلى الله بقوله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾ [الكهف:٨٢].



(٧)

## ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾

من القواعد الشرعية التي أرساها القرآن وأكد عليها؛ هي قاعدة: التثبت والتأكد عند سماع الأخبار.

كم من فتن ومصائب وحروب وطلاق وقطع أرحام وتشتت أسر وخراب مجتمعات كان سبب ذلك نقل الأخبار بدون تأكد وتثبت.

ذكر القرآن حادثة حدثت في عهد النبي ﷺ وصحابته الكرام، ولولا أن الرسول ﷺ عمل بهذه القاعدة الشرعية؛ لسفكت دماء قبيلة مسلمة؛ بسبب خبر كاذب؛ قال الله وهو يصف هذا الحدث: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾ [الحجرات: ٦، ٧].

وعاتب الله نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَام؛ لأنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع الخصم الآخر؛ فقال الله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٦١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيٰ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٦٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ نَجْمِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ۖ وَحَرَّ رَاكِعًا

وَأَنَابَ ۗ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكْ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ  
 إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ  
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ  
 الْحِسَابِ ﴿ص: ٢١-٢٦﴾.

كثيرة هي الأخبار التي نسمعها ونشرها دون أن نتأكد منها، وكثير  
 هي الشائعات التي نبثها دون أن تستند إلى خبر صحيح، كثير من الناس  
 ظلمناهم في الحكم عليهم بناءً على سماع طرف دون السماع إلى طرف آخر.  
 تأكد قبل أن تنشر، وتذكر لو كان هذا الخبر ضدك هل كنت تحب أن  
 ينشره الناس؟!، وعند سماع الشكوى اسمع إلى كل الأطراف، واعلم أن  
 إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً ليكون بعد الذي فعلوه بيوسف؛ فليس كل  
 من شكنا مظلوم، ولا كل من بكى هو على حق.



(٨)

## ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ﴾

من البشارات التي يرسلها الله ويقذفها في قلب المؤمن أن يعلم علم اليقين أن دين الله منصور، وأن نور الله ماضٍ، ولو اجتمع العالم كله لإطفائه، هذه البشارات لكل واحد منا يرى حجم التآمر والكيد للإسلام والمسلمين، وحجم التآمر على الفضيلة والترويج للذيلة.

إذا الله يأبى شيئاً فهل هناك من يستطيع أن يقف أمام إرادة الله؟! يقول الله مبشراً عباده بأنه حافظ دينه وناصر شريعته، و متمُّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

إذا كان الله يعلن الحرب على من آذى ولياً من أوليائه؛ فكيف ستكون حربه على من دخل في حرب مع الله ودينه؛ يقول الله في الحديث القدسي «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...». رواه البخاري.

فأعداء الدين ودعاة الرذيلة والذي يحاربون حماة الفضيلة... هؤلاء دخلوا في حرب مع الله، والويل لمن دخل في حرب وكيد ومكر معه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

قد تمر مرحلة من مراحل الضعف في أهل الإسلام، وتسلب الأعداء عليهم؛ لكنها مرحلة يمحص الله بها أهل الإسلام؛ ثم تكون العاقبة نصرًا وتمكينًا؛ قال الله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ [النور: ٥٥].



(٩)

## ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

وإن كانت قراءة القرآن أحد مقاصد إنزاله، إلا إنه لم ينزله الله فقط لأجل قراءته؛ إنما هناك الكثير من حكم ومقاصد إنزاله؛ فالله وصف كتابه العزيز بأنه يهدي للتي هي أقوم؛ ففيه تستقيم وتعادل حياة الناس في جميع شؤون حياتهم؛ فمن معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]:

- به تستقيم دماء الناس وأنفسهم؛ فجعل في ذلك القصاص؛ لتستمر الحياة، وليكون القصاص فيه محافظة على دماء الناس من الإزهاق؛ فقال الله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].
- بالقرآن تستقيم الفضيلة والأعراض؛ فجعل حد الزنا، وحد القذف، وشدد على غض البصر، ولباس الحشمة عند المرأة، وعدم خضوعهن في الكلام وتليينه أمام الرجال الذين ليسوا بمحارم.
- القرآن أقوم للقلوب بما يسعدها ويدفع ما يشقيها من الضيق والظنك والتعاسة.
- القرآن أقوم بأن جعل القوامه بيد الرجل؛ لأنه أقدر من المرأة في القيام بمصالحهن ومصالح البيوت.

- فيه استقامة السلوكيات والأخلاق؛ فأمر بالدفع بالتي هي أحسن والقول الحسن والتواضع وغيرها من محاسن الأخلاق، ونهى عن السخرية والكبر والطعن والتنازب بالألقاب والظن والتجسس والغيبة وغيرها من مساوئ الأخلاق.

- به تستقيم حياة المجتمعات؛ فأمر بأعمال البر وصلة الأرحام وطاعة الوالدين والرفق بهما، ونهى عن الأذية وأعمال الإثم والتعدي والظلم والبغي وقطع الأرحام وعقوق الوالدين.

المقام يطول والبركة في معاني القرآن يصعب علينا حصرها بعدة معاني. وأترك لقارئ القرآن أن يستزيد من التدبر، وأن يستخرج المزيد من معاني ﴿لَلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.



(١٠)

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

الروح هي مادة الحياة لجسم الإنسان؛ فإذا خرجت الروح أصبح الإنسان جثة هامدة لا حراك فيها.

كما أن للأجسام روح تحيا بها، فهناك روح معنوية تحيا بها القلوب؛ لذلك وصف الله القرآن الكريم بأنه روح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾ [الشورى: ٥٢].

فهذه الروح هي التي تغذي قلب الإنسان؛ فيتنور بنور القرآن، وتجعله هذه الروح سعيداً في حياته، راضياً بما قسمه الله له ويحيا حياة طيبة.

لذلك تجد أن من تعلق قلبه وعمل بمقتضى هذه الروح فإن الله تكفل له بكل خير؛ من الطمأنينة والحياة الراضية الطيبة؛ قال الله في ذلك:

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فالقرآن وذكر الله حياة القلوب وسعادتها وطمأنيتها. ثم توعد الله بالحياة التعيسة والضنك والضيق والقلق والنكد لمن ترك هذه الروح وأعرض عنها وبحث عن السعادة في غير هذه الروح؛ فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

(١١)

## ﴿كَلَّتِي نَقَضْتُ غَزْلَهَا﴾

من الأمور التي أكد عليها القرآن وجعلها الله متصلة به؛ الوفاء بالعهود والمواثيق والاتفاقات؛ في الحرب والسلام والبيع والشراء والشراكات التجارية والأسرار وسائر المعاملات.

**ولأهمية المواثيق والتأكيد على الوفاء بها؛ جعل الله العهد عهده**

**وميثاقه؛ فقال في هذا الشأن:**

- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾  
[النحل: ٩١].

- وأمر عباده المؤمنين بالوفاء بالعهد؛ فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة: ١]. العقود؛ أي العهود.

- وضرب - سبحانه - مثلاً لتقبيح نقض العهد؛ بأن ناقض العهد كمثل تلك المرأة الحمقاء التي كانت تفتل وتعمل غزلها فتلاً محكماً، ثم تنقضه بعد ذلك، وتتركه مرة أخرى قطعاً منكوثة محلولة؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا...﴾ [النحل: ٩٢].

- أخبر - تعالى - أن العهد من الأمور التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

- وعندما ذكر الله في بداية سورة (المؤمنون) أن المؤمنين قد فازوا وفلحوا، ذكر بأن الوفاء بالعهد من أسباب فوزهم بالجنة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

ونقض العهود من المشاكل التي يعاني منها الناس هذه الأيام؛ فتجد أن الشريك يحتال على شريكه في العمل وينقض الاتفاق والعهد الذي كان بينه وبين شريكه، وتجد من يتعهد بعدم إفشاء سر؛ ثم يفشي ذلك السر، وتجد آخر يتعهد عند عقد زواجه بأنه يعامل زوجته إما إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان؛ لكنه ينقض هذا العهد؛ كما قال الله: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١].

والميثاق الوثيق المتين في الآية؛ هو ما أخذه الله للنساء على الرجال -أثناء عقد الزواج- من حُسن المعاشرة أو المفارقة بإحسان، كما في قوله جل ثناؤه: ﴿ فَأِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

- وقد سخط الله على قوم عاهدوا الله بأنه إذا أعطاهم من المال فإنهم سيصلون الأرحام ويتصدقون في شتى أعمال الخير، فلما أعطاهم الله من فضله؛ بخلوا وتركوا العهد الذي عاهدوا الله؛ فجعل الله هؤلاء من جملة المنافقين المسخوط عليهم الذين إذا عاهدوا غدروا؛ قال الله عنهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن لَّيْتْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(١٢)

## ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾

هكذا يستمر القرآن في توضيح دأب وعمل أهل الضلال عندما لا يجدون الحجة في الرد على المصلحين في كل زمان ومكان؛ فعندما تأتي الحجة على السنة المصلحين، وعندما تعدم الحجة عند المعاندين، فبدل أن يعترفوا بالحق؛ يلجؤون إلى وسيلة أخرى؛ تهديد المصلحين بالقتل أو السجن أو الطرد من البلاد، أو على أقل المستويات؛ التشويه بهم وتنفير الناس منهم؛ وهي محاولة منهم لإسكات أهل الحق وإطفاء نور الله؛ لكن الله يأبى ذلك.

- هذا خليل الرحمن **عَلَيْهِ السَّلَام** يأتي بالحجة على قومه بعد أن كسّر الأصنام، وبأنها إن كانت آلهة - كما تقولون - فاسألوا هذه الآلهة لتخبركم وتقول لكم من الذي كسرها إن كانت تنطق، لكنهم بعد أن عرفوا أنها باطلة وبأن حجة إبراهيم قوية، وبدل أن يعترفوا لإبراهيم بأنه على الحق؛ لجؤوا إلى إسكات الحق الذي معه؛ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَأَنْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

- موقف آخر من مواقف الطغاة بعد أن تبين لهم الحق وعدموا الحجة؛ حيث فرعون يهدد موسى بالسجن؛ لإسكاته ﴿ قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

- أسلوب آخر يضاف إلى التهديد بالعذاب؛ وهو أسلوب التشويه وتنفير الناس من المصلحين، وأن المصلحين شر وشؤم ووبال على المجتمع،

وأن المصائب بسببهم، وأنا لم نر إلا الشؤم والمصائب منذ عرفناهم، واتهام المصلحين بالسحر؛ لتخويف الناس منهم، وبالجنون؛ لترك الناس لهم وأنهم غير عقلاء لا تبالوا بهم ولا تستمعوا لكلام هؤلاء المجانين؛ قال الله عن فرعون: ﴿فَتَوَلَّىٰ بُرْكُوبَيْهٖ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩].

قال الله وهو يقص قصة القرية التي أرسل إليها ثلاثة رسل ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَرَجِمَنَّكُمْ وَلِمَسَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٨].  
التطير؛ هو التشاؤم.

- شعيب **عليه السلام** يهدده قومه بالرجم لولا مخافة منهم من قبيلة شعيب ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

- تعال معي إلى سيد الخلق محمد **صلى الله عليه وسلم** هل سلم من تأمر قومه عليه؟

بعد سنوات والنبى **صلى الله عليه وسلم** يأتيهم بالحجة وراء الحجة، وكانوا قبل ذلك يلقبونه بالصادق الأمين؛ لأنهم يعرفون صدقه وأمانته؛ لكنهم انقلبوا بعد ذلك إلى العناد والمكابرة... بعد كل الحج والآيات لم يجدوا من وسيلة لإسكاته؛ إلا أن يجتمعوا في مقر مشورتهم ومكان اتخاذ قراراتهم (دار الندوة)؛ لنيفه وطرده من مكة، أو حبسه، أو قتله؛ فاستقر الأمر على قتله؛ قال الله وهو يصف هذه المؤامرة على سيد الخلق ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فيا أيها المصلح هذا هو طريق الأنبياء والمرسلين والمصلحين عبر الأزمان  
والدهور؛ لكن تذكر أين كان مصير المصلحين الذين ثبتوا على الحق، وأين  
الجباة والظلمة؟



(١٣)

## ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ ﴾

هناك خلقٌ عظيمٌ ربما نغفل عنه؛ لكن هذا الخلق نجده حاضرًا في القرآن الكريم؛ إنه خلق مراعاة المشاعر وجبر الخواطر.

\* فانظر إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثلاثة مواقف متتالية في آية واحدة راعى فيها مشاعر إخوته وأبويه؛ فقال:

- ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل من البئر؛ لثلا يذكر إخوته صنيعهم مراعاة لمشاعرهم، بعد عفوه عنهم بقوله: ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ ﴾.

- ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل من الفقر؛ لثلا يذكرهم بالفقر وأنه هو الذي أتى بهم إلى حال أفضل؛ فلم يذكر ذلك، ولا من عليهم قائلاً: أنا أخرجتكم من الفقر؛ فراعى بذلك مشاعرهم.

- ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ فنسب ذلك إلى الشيطان ولم ينسبه إلى إخوته؛ كرمًا منه، ومُراعياً لمشاعرهم.

لما كان اليتيم فاقداً لأبيه؛ فهو أحوج ما يكون إلى العطف والحنان؛ تعويضاً لجزء من حنان وأبيه الذي فقده؛ مراعاة لمشاعر هذا الطفل. ولما كان السائل لم يسأل إلا عن احتياج، ويسأل ونفسه مكسورة؛ خوفاً من رد الناس له أو إذلاله بالمن أو الأذى أو التكلم عليه وإهانتته؛ أمر الله بعدم

نهره وتعنيفه؛ مراعاة لمشاعره، فيما أن تعطيه أو تتركه بالحسنى دون تعنيف أو إذلال؛ قال الله عن اليتيم والسائل: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

- لما كان اثنان أو أكثر يتحدثون وهناك آخر في نفس المكان لا يشركونه معهم؛ فالله نهى هذا الأمر؛ مراعاة لمشاعره، ولئلا يظن هذا أن الآخرين يتكلمون عليه؛ فيسيء بهم الظن؛ قال الله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [المجادلة: ١٠].

وفي هذا المقام تذكرت موقف النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عندما أرسلت له زوجته أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** طعاماً وكان يوم عائشة، فغارت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، إذ كيف في يومها ترسل زوجة أخرى الطعام للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فضربت عائشة يد الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ فسقطت القصة؛ فانكسرت بما فيها من الطعام، فأخذ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى، وجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «غارت أمكم غارت أمكم» [رواه البخاري].

تأمل معي هذا الموقف لو حصل هذا التصرف من زوجات أحدنا أمامه؛ فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لم يعنف عليها، ولم يؤذها بقول ولا بفعل؛ بل إنه راعى مشاعرها وغيرتها؛ قائلاً: «غارت أمكم غارت أمكم».

- الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يراعي مشاعر طفل صغير مات عصفوره؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنى أبا عمير، وكان له

نغر (طائر صغير) يلعب به؛ فمات، فدخل عليه النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذات يوم فرآه حزيناً، فقال: «ما شأنه؟» قالوا: مات نغره. فقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟».



(١٤)

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾

الكريم ابن الكريم ابن الكريم يعلمنا التواضع لله، ونسب نعمة العلم إليه مهما بلغنا من مراتب العلم والمعرفة؛ فقال لصاحبيه في السجن: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي...﴾ [يوسف: ٣٧].

وكما بدأ يوسف قصته بالتواضع؛ ختمها أيضًا بالتواضع لله ونسب إلى ربه الملك والعلم اللذين أعطاهما الله إياه؛ فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

- بالمقابل فهناك موقف آخر في العجب والغرور وعدم التواضع؛ حيث قص الله علينا قصة قارون -الذي أنعم الله عليه بسعة في المال-؛ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا...﴾ [القصص: ٧٨].

نسب الثروة والمال والزينة إلى علمه وذكائه ونسي أن الله هو المنعم عليه، واستخدم هذه النعم في الغرور والتكبر؛ فكانت النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...﴾ [القصص: ٨١].



(١٥)

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾

اللمس، المس، المباشرة، الحرث... هذه الألفاظ وغيرها عبّر بها التعبير القرآني عن الجماع، ولما ذكر الله الألفاظ هذه للتعبير عن الجماع؛ لأجل أن نتربّي على حسن الأدب، ومحاسن القول، والحياء، وعدم الفُحش في الكلام، وتجنب الألفاظ التي تחדش الحياء.

- قال عن اللمس: ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء: ٤٣].

- وقال عن المس: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

- وقال عن المباشرة: ﴿ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَلِكْفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

- وعن الحرث قال: ﴿ فَأَنْوَأْ حَرَّتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].



(١٦)

## ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾

ناقش القرآن مسألة الصدقة بعدة أساليب؛ أسلوب تشويق، وأسلوب تأكيد، وأسلوب تحذير، وأسلوب تخويف، وأسلوب تطمين:

**أولاً:** الحث على الصدقة وتشويق النفس لأجل بذل الصدقة، قال الله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهذا مثل ضربه الله لتقريب مضاعفة أجر الصدقة. فالله لا يكتب الصدقة بمثلها، بل إلى سبعمائة ضعف وأكثر من ذلك؛ كمثل مزارع وضع في التراب بذرة من بر أو شعير أو غيرهما؛ فأنبتت هذه الحبة سبع سنابل، وحملت كل سنبله مائة حبة؛ فيكون مجموعها سبعمائة حبة؛ وهكذا الصدقة.

**فمثلاً:** لو أن شخصاً تصدق بألف ريال ابتغاء وجه الله فإنه يكتب له في صحيفة أعماله سبعمائة ألف ريال، إلى أضعاف كثيرة.

**ثانياً:** التأكيد على الإخلاص وابتغاء وجه الله، قال الله: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فالذي ينفق ابتغاء وجه الله ونفسه طيبة عند إخراج الصدقة؛ شبه الله ذلك بمزرعة في مكان مرتفع فيها شتى أنواع الزروع - من النخيل والأعناب والفواكه - فهي في مكان مرتفع بعيدة عن مجرى السيل الجارف؛ فأتى عليها الغيث من السماء؛ فبارك الله في زرعها وثمراتها.

**ثالثاً:** التحذير من موانع قبول الصدقة؛ وهي:

- ١- المن.
- ٢- الأذى.
- ٣- الرياء وطلب الشهرة والفخر بهذه الصدقة.

قال الله في هذه الآية التي ذكرت موانع قبول الصدقة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ضرب الله مثلاً لصدقة من يلحق صدقته المن أو الأذى أو يتصدق طلباً للرياء والفخر والشهرة؛ كمثل أرض فيها تراب لكن تحتها صفا، فكان صاحب هذه الطين والأرض يظن بأنه سيزرع عليها وستخرج له هذه الأرض الزروع والثمار، لكن جاء المطر؛ فأزال وجرف هذا التراب حتى ظهر الصفا والحجر الأملس، وأصبحت الأرض ملساء قد ذهب كل ترابها، وكذلك الذي أتبع صدقته المن والأذى والرياء يمحق الله ماله ويذهب؛ فلا احتفظ بهاله لنفسه، ولا قبل الله منه صدقته.

- وفي شأن المن يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» [رواه مسلم].

**رابعاً:** تخويف مانعي زكاة أموالهم بالعذاب؛ قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

- وقال الله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤].

**خامساً:** رسائل أمان وتطمين للمتصدق.

فالنفس البشرية قد يبعثها على البخل وترك التصدق؛ الخوف من الفقر وذهاب المال الذي سيتصدق به؛ فعالج الله هذا الخوف بتطمين المتصدق بنوعين من الأمان؛ أمان في الدنيا من الفقر، وأمان في الآخرة بالأمن من خوف وفتح يوم الفزع الأكبر؛ قال الله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فحقيقة الأمر أن للشيطان دوراً في تخويف الواحد منا؛ فإذا فكر الواحد منا بالتصدق فإن الشيطان يخوفه بالفقر وذهاب المال؛ لكن الله يرسل آخر الآية الأمان في الدنيا بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وأمان في الآخرة؛ قال الله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْجِلِّ  
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وذكر الله بأن الصدقة هي أمان وفيها نفع لصاحبها يوم القيامة -اليوم  
الذي لا تنفع فيه صداقة ولا بيع-؛ قال الله:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ  
فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه:  
ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله  
عزًّا؛ فاعفوا يعزكم الله، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»  
[رواه أحمد والترمذي].



(١٧)

## ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾

رفض يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أن يخرج من السجن لما أتاه العفو الملكي بإخراجه من السجن؛ لأنه لا يريد أن يخرج بعفو أو مكرمة ملكية بعد سجنه ظلماً، واتهامه بأنه أراد الفاحشة بسيدته زوجة العزيز؛ وإنما أراد أن يخرج من السجن مبرأً، ولا بد أن يعلم عدد كبير من الناس أنه بريء، وعلى أقل نسبة أن تأتي زوجة العزيز والنساء اللاتي حضرن مجلس زوجة العزيز؛ لتشهد عليها النسوة اللاتي حضرن مجلسها أنها قالت: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢]؛ ليكون يوسف بريئاً بهذه الشهادة أمام الملك وحاشيته، وأنه سُجن ظلماً، وأن زوجة العزيز هي التي راودت فتاها وليس العكس... يُعلِّمنا يوسف في هذه القصة أن الواحد منا يتعد عن مواطن الشبهة، وأماكن الريبة؛ حتى لا يُظن بها شرّاً.

- في هذا المقام تذكرت قصة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع اثنين من الصحابة، فعندما زارته زوجته صفية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وهو معتكف في مسجده، ثم ردها الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى بيتها ليلاً، وبينما النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عائد بزوجه إذ برجلين من الصحابة مرّاً؛ فقال لهما: «على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله وكبر عليهما ذلك، فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً» [متفق عليه].

الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال لهذين الصحابين إن المرأة التي بجانبه هي زوجته صفية وليست امرأة أخرى؛ حتى لا يوسوس الشيطان لهما أن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** برفقة امرأة أخرى؛ وهذا مما ينبغي على الواحد منا أن يتعد عن مواطن الشبهة.



(١٨)

## ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].  
 يصف الله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم الأعلون في معركة أحد مع أنهم  
 فقدوا سبعين صحابياً قتلوا في هذه المعركة، إضافة إلى الجراح التي أصابتهم،  
 فكانت أحداث هذه الغزوة أليمة على قلوب الصحابة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 وثقيلة على أنفسهم؛ لكن مع ذلك وصفهم الله بأنهم هم الأعلون، فكيف  
 يكونون كذلك وقد أصابهم ما قد رأيت؟

- كان الصحابة هم الأعلون؛ لأن أكثر من سبعين صحابياً ارتقوا  
 شهداء، وكفى بالشهادة علواً ومنزلة؛ ولأن من أهداف الجهاد أن يتخذ الله  
 فيها شهداء؛ كما قال الله في الآية التي بعدها: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ  
 الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وفي هؤلاء الشهداء نزل قول الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
 فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
 يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

فمن شدة فرحهم وما وجدوه في هذه الحياة السعيدة التي يعيشونها  
 بعد استشهادهم يتمنون أن ينقلوا هذه المشاعر إلى إخوانهم المؤمنين الذي

لا يزالون على قيد الحياة في الدنيا؛ ليحرص إخوانهم في الجهاد والإيمان على نيل الشهادة؛ فكان نزول هذه الآية؛ ما رواه أبو داود - في الحديث الصحيح - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أُصيب (أي قُتل) إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضر ترد أنهار الجنة؛ تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرزق؛ لئلا يزهّدوا في الجهاد؟ فقال الله سبحانه: أنا أُبلّغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...﴾».

- كانوا الأعلين؛ لأنهم غنموا في بدر الكثير من الغنائم؛ لكن قريشاً في أحد لم تغنم، إنما اكتفت بالقتل وذهبت.

- أنتم الأعلون؛ لأنهم أسروا قبل عام في بدر سبعين من قادة ومقاتلي قريش؛ لكن قريشاً في أحد لم تأسر أي صحابي.

- أنتم الأعلون ديناً وإيماناً؛ وأنتم الأعلون؛ لأنكم تقاتلون في سبيل الله، وغيركم قاتل في سبيل الطاغوت.

- أنتم الأعلون؛ لأن قتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار.

- أنتم الأعلون؛ لأن عدوكم هرب تجاه مكة ولم يذهب إلى المدينة؛ ليقتل وينهب ويأسر ويسبي النساء والأطفال، مع أن المدينة حينها كانت خالية من المقاتلين الذين يحمونها.



(١٩)

## ﴿مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾

من كرم الله على عباده المجاهدين أن كتب لهم أجر الشهداء حتى وإن لم يحققوا أية نتائج؛ فهم مؤجرون بمجرد أن الكفار يغتاظون من أعمالهم؛ قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا أَلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

إلى الأبطال الصامدين في كل ميادين النزال وساحات إغاظة أعداء الدين أبشروا فإن الأجر سيكتبه الله لكم حتى وإن لم تحققوا النتائج التي ترجونها؛ فأنتم مجاهدون بمجرد إغاظة أعداء الدين .

إلى الأبطال في بيت المقدس وأكناف البيت المقدس لا تستمعوا للمُرجفين الذين يقولون ماذا حققتم بعمليات تقتلون فيها عدة أشخاص من اليهود؟؛ فالإغاظة وحدها تكفي، وحتى السير من مكان إلى آخر في الجهاد حتى وإن لم يحصل قتال فهو جهاد مأجور عليه المجاهد، فكيف لو أضفتم إلى الإغاظة النيل من الأعداء؛ وهو القتل أو الأسر أو الغنيمة.

(٢٠)

## ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

لما كانت أعمار هذه الأمة قصيرة مقارنة بمن سلف من الأمم؛ جعل الله في هذه الأمة فضائل الأعمال التي تسبق أعمال الأمم السابقة؛ ومن هذه الأعمال القليلة الفعل العظيمة الثواب؛ ليلة القدر التي جعل الله العمل فيها خير من عبادة ثلاثٍ وثمانين سنة.

والعمل فيها يكون متعددًا؛ من قيام ليل وصدقة وقراءة قرآن وذكر الله ودعاء واستغفار.

### سماها الله ليلة قدر لعدة معانٍ:

- أي أنها ليلة ذات قدر ومكانة؛ قال الله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:٣] ويكفيها قدرًا ومكانة؛ أنها خير من ألف شهر، وأن القرآن نزل في هذه الليلة.

- في هذه الليلة تضيق الأرض من كثرة نزول الملائكة؛ قال الله: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر:٤] فالقدر بمعنى الضيق، كما قال: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]؛ أي ضاق عليه رزقه، وقال الله عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أي ظن أن لن نضيق عليه بحبس في بطن الحوت ونحوه.

- من معاني القدر؛ أن في هذه الليلة تنزل أقدار العباد السنوية من اللوح المحفوظ؛ قال الله: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤] من كل أمر؛ أي الأقدار السنوية للعباد؛ من الآجال والأرزاق وغير ذلك. ومما يؤكد هذا المعنى هو قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣، ٤].



(٢١)

﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى ﴾

أفعال الله لا تخلو من حكمة، فكل مقادير الخلق من خير أو شر، أو سراء أو ضراء، أو عطاء أو منع، أو ضار أو نافع... كلها فيها حكمة الله تعالى، سواء عرفنا الحكمة أم لم نعرف؛ فكل أفعاله في هذا الكون تسير وفق مقتضى حكمته.

يعطي المال لأناس لحكمة، ويمنع آخرين لحكمة -أيضاً-.  
فهل عندما يمنعني الله أو يمنعك المال والثراء في ذلك حكمة؟

**الجواب في عدة آيات منها:**

- ﴿ وَكَوَّ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغْوًا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُزِلُّ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ  
إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

- ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى ﴾ [العلق: ٦، ٧].

فذكر الله صنفاً من الناس بأن الفقر أو عيش الكفاف هو الأفضل لهم في سابق علم الله؛ لأن هؤلاء إذا أمدهم الله بالمال والغنى فإن هذا مُفسد لهم؛ لأنهم سيفسدون ويغنون على عباد الله، ويكون هذا المال سبباً لانحرافهم وفسادهم وبعدهم عن الله، وسبباً لغفلتهم عن طاعة الله، والانشغال بالملذات والملهيات.

- ولما كانت الزيادة في الأموال والزينة والترف سبباً من أسباب طغيان فرعون وقومه؛ دعا عليهم موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بطمس ومحق هذه الأموال؛ لأنهم

استخدموها في الطغيان على عباد الله، ولم يستخدموها في الطاعة؛ قال الله:  
 ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ  
 فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].



(٢٢)

## ﴿يُغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

من رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة مهما حصل منهم من كفر أو معاصٍ أو موبقات، فما دام أن العبد أقبل على الله بتوبة صادقة فإن الله غافرٌ له ذنوبه مهما كانت.

وفتح باب التوبة يدل على حلم الله ولطفه ورحمته وجوده وكرمه وفرحه بتوبة عبده؛ قال الله عن الكفار: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال عن النصارى بعد أن قالوا أن الله ثالث ثلاثه وقالوا إن له ولداً ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

وحتى لو أسرف الإنسان على نفسه بالمعاصي فإن الله فتح له أبواب التوبة ونهاه عن اليأس من رحمته؛ ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

- بل إن الله يفرح بتوبة عبده إذا تاب، وضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك

مثلاً؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



## قبسات من القرآن الكريم.

يقول: «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام؛ فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت؛ فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته» [رواه البخاري ومسلم].

(الدوية؛ أي أرض خالية من صحراء وغيرها).



(٢٣)

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾

قد تمر على الواحد منا مرحلة من عدم الخشية من الله، والاستهانة بالذنوب، وعدم الخشوع عند سماع الآيات، وجفاف العيون وقسوة القلوب عند سماع المواعظ ورؤية الجنائز... فلماذا نُصاب بمثل هذه الأمور؟!  
الجواب نجده في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

ما هو الرّان؛ هو الغلاف والغطاء.

فالقلب من كثرة اكتساب المعاصي يكون عليه غطاء وغلاف؛ من غيبة ونميمة وغش وكذب وسب وسخرية ونظر إلى الحرام وسمع كذلك وفتن الشهوات والشبهات...؛ كل ذلك تجتمع على القلب وتضع عليه كالغطاء، وحينها؛ لا يخشع قلبه، ولا تدمع عينه، ولا يخاف من زواجر، ولا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا؛ وكل ذلك بسبب الأغطية والحُجُب التي وضعها على قلبه؛ فكانت حاجزًا بين قلبه وبين نور الهداية والاتعاظ.

وقد قال رسول الله ﷺ عند هذه الآية فيما رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة؛ نُكِّتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب؛ صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها؛ حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾».

النكتة؛ أي نقطة سوداء.

صُقِلَ؛ أي أصبح أبيض نظيفاً.

وقد ذكر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث العلاج لهذه الأمور؛ فقال: «فإذا هو نزع واستغفر وتاب...». إذن؛ العلاج هو: ترك الأغذية التي تحجب عن القلب نور القرآن والسنة، وكذلك التوبة والاستغفار.



(٢٤)

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾

يكفيك فوزًا وفلاحًا وإنجازًا أنك تموت على الحق حتى وإن لم تحقق أية نتائج في طريقك إلى الله في هذه الحياة.

يقص الله علينا عدة قصص في القرآن الكريم عن أناس قُتلوا بسبب وقوفهم مع الحق وانتصارهم للمصلحين؛ فقتلهم قومهم دون أن يحققوا نتائج على أرض الواقع، وفي نظر البعض في زماننا هذا أن هذا نوع من إهدار النفس والعمر وإزهاقها دون فائدة.

- حبيب النجار، هذا الرجل الذي سمع بأن قومه قد أحاطوا بثلاثة من الأنبياء يريدون الفتك بهم، فلما سمع الخبر جاء مباشرة من طرف المدينة؛ للانتصار للأنبياء، مع أنه كان قادرًا على أن يقول بأن الأمر لا يعنيني؛ فلما وصل أخذ يدعو قومه إلى الدين الحق وانتصر للأنبياء؛ فكانت النتيجة أن داسه قومه بأقدامهم حتى مات؛ فكان بينه وبين دخول الجنة أن يُسجّل هذا الموقف العظيم ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۗ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]. فالنتيجة التي حققها أنه مات على مبدأ؛ فكان جزاؤه الفوز والفلاح بدخول الجنة.

- موقف مشرف قوي حاسم من سحرة فرعون كان كافيًا لأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم في جذوع النخل ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ

رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾  
[الشعراء: ٥٠، ٥١]. وكفى بدخول الجنة فوزًا.

- بعد أن ذكر الله قصة أصحاب الأخدود؛ ختم الله القصة بقوله:

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

سمى الله خاتمة الذين أُحرقوا في الأخدود بالفوز الكبير لماذا؟

لأنهم ثبتوا على الحق وماتوا عليه، فسمى الثبات على الحق والموت عليه

فوزًا، وهل هناك فوز أعظم من رضا الله ودخول الجنة؟



(٢٥)

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾

المكابرة والعناد من موانع الهداية ومن أسباب البقاء على الضلال؛ ومهما أتيت المعاند بكل حجة وبرهان فإنه لن يقبل منك؛ لأنه عندما يطلب الآيات والحجج والمعجزات يريد الانتصار لنفسه اللثيمة ومحاولة تعجيز المصلحين وإسكاتهم، وليس هدفه الوصول إلى الحق.

قص الله علينا عدة قصص في القرآن عن أقوام طلبوا من أنبيائهم الأمور المستحيلة على البشر الإتيان بها وتحقيقها، وكانت هذه الطلبات ليست بهدف الإيمان، وإنما بهدف التعجيز والإحراج؛ ولما حقق لهم الأنبياء الأمور التي طلبوها منهم؛ استمروا في المكابرة والعناد؛ فمن هؤلاء:

- قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، طلبوا منه أن يُخرج لهم من الصخرة ناقة عظيمة، وكان طلبهم ذلك ليس لأجل الإيمان به؛ إنما أرادوا تعجيزه وإحراجه أمام الناس، فقال لهم إذا حققت لكم طلبكم هل ستؤمنون؟ قالوا نعم. فدعا صالح ربه أن يخرج له ناقة من الصخرة؛ فإذا الصخرة تنشق أمام الناس وتخرج منها ناقة عشراء؛ أي حامل في شهرها العاشر كما طلبوا؛ فلما رأوا هذه المعجزة البينة الواضحة؛ استمروا في عنادهم؛ بل إنهم بعد فترة من الزمن عقروا هذه الناقة.

- أيد الله نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعجزات كثيرة؛ منها العصا واليد والدم والصفادع...؛ فلما رأى فرعون وقومه هذه المعجزات، قالوا: هذا سحر، مع

اعتقادهم أنها حق من عند الله، ولكنه العناد؛ قال الله عنهم: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ  
 آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا  
 وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [النمل: ١٣، ١٤].

فأنكروا هذه المعجزات مع يقينهم أنها من عند الله؛ ولكنه العناد والعلو  
 والكبر عندما تتمكن هذه الأمراض الخطيرة من القلب.

- وصل قوم إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلى قناعة أن الأصنام التي كسرها إبراهيم  
 لا تضر ولا تنفع، وأنها آلهة باطلة؛ فيصف الله حالهم: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ  
 هَذَا يَا لَهْتَـنَا يَا بُرْهِيْمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ  
 كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾  
 [الأنبياء: ٦٢-٦٤].

أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن الحجة، العارف بصحة  
 حجة خصمه؛ فقالوا إنكم أنتم الظالمون؛ أي بعبادة من لا ينطق، ولا يملك  
 لنفسه نفعاً، ولا يدفع عن نفسه ضرراً، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم الضرر  
 وهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم فأس إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**؛ فدفعهم  
 العناد إلى أن رجعوا إلى ضلالهم ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴿٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٥] أي  
 انتكست عقولهم ورجعت إلى الباطل؛ بسبب المكابرة والعناد؛ ثم قادهم  
 عنادهم إلى محاولة قتل إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - حرقاً ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا  
 ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨].

- العناد والمكابرة ومحاولة تعجيز الأنبياء عادة مستمرة من عادات المستكبرين والمعاندين، وكان من هؤلاء قريش؛ حيث طلبت من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينشق القمر فرقتين؛ لتكون آية وعلامة على صدقه وصدق نبوته؛ فلما انشق القمر نصفين؛ دفعهم العناد والمكابرة إلى أن يقولوا إن محمداً قد سحر أعيننا، وأن القمر لم ينشق حقيقة، وإنما هو سحر؛ قال الله واصفاً هذه المعجزة العظيمة، وواصفاً حال هؤلاء المعاندين ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

فكم من أمم وجماعات وأفراد أهلكتهم الله، وكان مصيرهم الخلود في النار؛ بسبب العناد والمكابرة؛ الأمر الذي دفعهم ذلك إلى عدم الانقياد للحق واتباعه؟!!



(٢٦)

## ﴿نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾

حب المال والملذات والخوف على المصالح...؛ هذه من موانع أتباع الحق؛ لأن أتباع الحق في نظر هؤلاء أنه سبب لخسارة مصالحهم؛ فكم من أناس عرفوا الحق؛ لكنهم قدموا الملذات المؤقتة الفانية على الملذات الباقية عند الله في الجنة؛ دفعهم ذلك الحرص على المصالح والخوف من ذهابها من بين أيديهم؟!!

كم من منصب أو مال أو متاع كان سبباً لرد الحق وعدم اتباع الأنبياء والمصلحين.

## القرآن الكريم يذكر عدة نماذج لأمثال هؤلاء:

- ﴿وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧].  
فكان عذر قريش في عدم الإيمان بالنبى ﷺ الخوف من قبائل العرب أن تنتزع منهم زعامة مكة وأن يتخطفهم الناس ويؤذوهم أينما كانوا بالقتل والأسر؛ لذلك تجد سياق الآية الكريمة تتحدث أن مشركي مكة معترفون بأنه نبي مرسل وأنه على الهدى؛ لكن الخوف على مصالحهم هو دافع من دوافع عدم قبولهم نبوته وعدم اتباع الهدى الذي جاء به.

ولما كان الخوف على انقطاع المصالح الدافع لقريش في عدم اتباع النبي ﷺ؛ ذكرهم الله بأنها ملذات ومصالح فانية لا تبقى مع الإنسان، وأن

العاقل واللييب من يؤثر ويفضل المصالح الباقية الدائمة على الفانية؛ فقال الله لهم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص: ٦٠، ٦١]؛ لأجل أن لا تكون مصالحكم المؤقتة حائلًا بينكم وبين الملمات الدائمة في دار السلام

- الخوف على مصالح المال والجاه والسلطان وغيرها؛ يدفع بأناس كثير - وما أكثرهم هذه الأيام - إلى موالاة الكفار ومناصرتهم؛ يدفعهم ذلك الخوف على مصالحهم في حال كانت الغلبة للكفار؛ قال الله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فترى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢]. فخافوا من أن تدور الدوائر والنصر لصالح الكفار، وهذا الخوف جعلهم موالين لهؤلاء؛ لكن الله يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ؛ يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» [رواه مسلم].



(٢٧)

## ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾

لم يمدح الله في القرآن جيلاً كما مدح جيل الصحابة رضوان الله عليهم؛ فهم خير جيل وخير بشر بعد الأنبياء والمرسلين.

لا يحب الصحابة إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق مخذول؛ إذ كيف تبغض من كتب الله لهم الرضوان؛ فنحبهم لرضا الله عنهم؛ بل إن المبغض لهم يعارض معارضة صريحة ما جاء في الآيات التي تدل أن الله قد كتب لهم رضوانه.

**قال الله عن هذا الجيل الفريد:**

- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

لاحظ في الآية أن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾؛ فالله جعل من علامات رضاه عن الذين يأتون بعد المهاجرين والأنصار - من التابعين وتابعي التابعين إلى يوم القيامة - أن يقتدوا بالصحابة في أعمالهم الحسنة، وألا يقولوا فيهم إلا حسناً.

- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ  
 فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ  
 تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ  
 حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ  
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ  
 رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

- عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما  
 أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» [رواه البخاري ومسلم].



(٢٨)

## ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

من العبادات التي يكون فضلها عظيم وأجرها كبير؛ ذكر الله تعالى؛ لأنها تدل على تعلق القلب بالله، والله **عَزَّوَجَلَّ** يُحِبُّ أَنْ يُذَكَرَ ويُحَمَدَ وَيُقَدَّسَ وَيُسْتَغْفَرَ؛ وذكر الله يكون ما بين أذكار مقيدة - في الصباح والمساء وغيرهما - ومطلقة، وتسييح واستغفار وثناء على الله.

عبادة الذكر كما أنها من أفضل الأعمال فهي بنفس الوقت أسهل عبادة يقوم بها العبد، فهي لا تحتاج إلى جهد وعمل، وليس فيها مشقة؛ إنما تستطيع القيام بها في جميع أحوالك، وحتى أثناء شغلك.

لما يذكر الله الأعمال الصالحة يذكرها بدون طلب الإكثار والزيادة؛ لكن لما تأتي آيات الذكر؛ تأمر بكثرة ذكر الله؛ لما لهذه العبادة من حب ومكانة عند الله؛ قال الله أمراً عباده الإكثار من ذكره:

- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ  
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً  
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ  
وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

[الأحزاب: ٤١، ٤٢].

- الإكثار من ذكر الله؛ من أسباب انتصار المجاهدين في جهادهم

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

- الذكر عظيم؛ قال الله ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالذكر كبير وعظيم عنده؛ لأن ذكر الشيء المحبوب بالثناء والخير؛

دليل حب وتعلق بالمحبوب؛ فجعل الله هذه العبادة من أجل القربات.

- وأخبرنا الله أن ذكره حياة القلوب وسعادتها وطمأنينتها؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

- وعندما ذم الله المنافقين؛ ذكر أن قلة ذكروهم إياه سبب من أسباب

مقت وكره الله لهم؛ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا

قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

[النساء: ١٤٢].

- وذكر أن عدم ذكر العبد إياه؛ دليل على استيلاء واستحواذ الشيطان

على قلب هذا العبد ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

- في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق (أي الفضة)، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى».

والإعراض عن ذكر الله سبب من أسباب الشقاء والحياة التعيسة؛ قال الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].



(٢٩)

## ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

هكذا يصف القرآن قصة معركة الأحزاب (الخدق)؛ تزلزلت القلوب وبلغت الحناجر، واضطربت الأقدام اضطراباً شديداً، وأصبح الصحابة في كرب عظيم وفزع شديد؛ لأن الأعداء من الأحزاب حاصروا المدينة، ولأن بني قريظة نقضوا عهودهم؛ فأصبحوا بين فكي كماشة، وأصبح الموت يحيط بأهل المدينة من كل جانب؛ لكن الله لما رأى صدق هؤلاء، وثباتهم على دينهم؛ أعطاهم ثلاث جوائز وثلاثة انتصارات متتالية؛ فقال الله:

- ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]. فرجعت قريش ومن معها من قبائل العرب خائبين دون أن يحققوا أية نتائج؛ حيث أرسل الله عليهم ريحاً شديدة؛ فزعزعت مراكزهم، وأسقطت خيامهم، وقلبت قدورهم، وأزعجتهم، وضر بهم الله بالرعب؛ فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

- ثم جائزة أخرى بعدها؛ فقد مكَّن الله نبيه وصحابته من رقاب يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد، وأرادوا إدخال جيش الأحزاب من مناطقهم ومزارعهم؛ لكن النتيجة أن الله قذف في قلوبهم الرعب، ونزلوا من حصونهم (صياصبيهم)؛ وأصبحوا بين يدي الصحابة بين قتيل وأسير،

وأصبحت حصونهم وديارهم وأمواهم ملكًا للصحابة، الذين خرجوا قبل أيام من حصار وكرب؛ ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

﴿ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا ﴾؛ هذا هو النصر الثالث، وهو أن الله في نفس الآية بشرهم بفتح خيبر، هذه البقعة التي كانت منبع الشر والتآمرات على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصحابته - رضوان الله عليهم -؛ فبشرهم بفتحها؛ ليلم طوي صفحة اليهود في المدينة وحوها.

فبعد الصبر نصرٌ، وبعد العسر يسرٌ، وبعد الابتلاء تمكينٌ.



(٣٠)

﴿يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

لتأثير الصديق على صديقه خيرًا أو شرًّا؛ حذر الله أشد الحذر من أصدقاء السوء؛ لأنهم دعاة على أبواب جهنم، وبسبب إضلالهم لأصدقائهم قد يُجَلَدُ الإنسان في النار، ويكون هؤلاء أعداء يوم القيامة يلعن بعضهم بعضًا، وبالمقابل ذكر الله أن الأصدقاء الصالحين يكونون أحبة يوم القيامة.

يقص الله علينا قصة عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ كيف أنه كان أسلم ونطق الشهادتين أمام النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم رجع إلى الكفر؛ بسبب تحريض صديقه أُمِيَّة بن خلف؛ فما زال به أُمِيَّة حتى أرجعه إلى الكفر؛ فذكر الله حال عُقْبَةَ كيف سيكون يوم القيامة - من الندم والحسرة وعلى التبرؤ من صديقه الذي أوردته النار - ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

- يقص الله علينا مشهدًا سيكون يوم القيامة بعد فصل القضاء؛ في هذا الموقف يصف الله قصة شخص من أهل الجنة، وفي لحظة من اللحظات وهو في الجنة؛ تذكر أيام الدنيا، وأن في الدنيا كان له صديق يحاول تشكيكه في يوم البعث، وأنه من المستحيل البعث والنشور بعد أن نكون عظامًا ورفاتًا، وأخذ يشككه في الحساب والجزاء؛ لكن هذا الشخص لم يستمع إلى شبهات

صديقه، ولم يستطع صديقه أن يغويه وأن يحرفه عن الهداية؛ فتعالوا نتأمل هذا الموقف ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظَلِّعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

(لمدينون؛ أي لمجزيون ومحاسبون).

بعد أن سأل الصديق الصالح عن صديقه وعن مصيره؛ أُذِن لهذا الشخص أن يطلع على أهل النار؛ فرأى صديقه في وسط النار؛ فقال: تالله إن كنت لترديني وتهلكني معك في جهنم؛ لولا رحمة من الله ونعمة أنعم بها عليّ - أنني لم أمرض معك على ضلالتك -؛ لكنت معك في النار.

فانظر بين الموقفين؛ شخص يتبرأ من صديقه ويعض أصابع الندم؛ لأن صديقه أوردته المهالك، وآخر لم يجر وراء شهوات وشبهات صديقه؛ فكان مصيره الجنة، وحمد الله أنه لم يكن ألعوبة بيد صديقه الضال.

الأصدقاء يكونون أعداء يوم القيامة وتنقلب صداقتهم التي كانت في الدنيا إلى عدواة يوم القيامة، ما عدا الأصدقاء الذين اجتمعوا على الخير والصلاح والتقوى؛ قال الله ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فكم من منحرف عن الهداية، وكم من وارد النار كان سبب هلاكهم أصدقاء السوء؟!

بالمقابل -أيضًا- كم من وافد على الرحمن في جنات النعيم بسبب  
أصدقاء صالحين؛ تبعهم الإنسان على الخير والصلاح؟.

من الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة «رجلان تحابا في الله...» [رواه  
البخاري ومسلم].

وقد روى أحمد والحاكم والترمذي وأبو داود في الحديث الصحيح من  
حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الرجل على دين  
خليله، فلينظر أحدكم من يخال».

فالصديق تأثيره كبير على صديقه؛ خيرًا كان أو شرًا.



(٣١)

## ﴿ تَجَانِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾

من أجل العبادات الدالة على توفيق الله للعبد؛ قيام الليل؛ وقد حث الله على هذه العبادة، وجعلها من صفات عباد الله الذين يدخلون الجنة، وهي عمل الأنبياء والصالحين، وفيها يكون العبد قريباً من ربه؛ عندما يقوم في جوف الليل مصلياً ذاكراً داعياً ربه خوفاً وطمعاً، وفي هذه العبادة يتعرض العبد لمنح الرحمن، وأعطيات الكريم المنان؛ قال الله عن هذه العبادة؛

- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَأْتَاهُمْ رِزْقًا إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَارًا هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

من العبادات التي دخلوا بسببها الجنة؛ قيام الليل؛ فكان نومهم بالليل قليلاً.

- ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤].  
فهذه من صفاتهم؛ لذلك ساهم عباد الرحمن؛ تشریفاً لهم، حيث أضافهم إليه.

- ذكر الله من صفات عباده المؤمنين أن جنوبهم تتجاني؛ أي ترتفع جنوبهم، وتترك مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألد عندهم منه وأحب إليهم؛

وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى: ﴿ نَسْجَاتِي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٦، ١٧].

فيجدون في الجنة من الخير الوفير والنعيم المقيم الدائم ما تقر به أعينهم وترضى، فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل؛ جازاهم من جنس عملهم؛ فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

- قيام الليل شرف للمؤمن؛ فعن سهل بن سعد وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس» [رواه الطبراني والحاكم والبيهقي].

- ومن أعظم الأوقات تلك هي التي ينادي فيها الرب عباده، ويتودد إليهم، ويحثهم فيها على التعرض لأعطياته وهباته؛ هي ساعات الثلث الأخير من الليل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟» [رواه البخاري ومسلم].



(٣٢)

## ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[الأعراف: ٥٦].

حياة العبد في السير إلى الله حياة متوازنة بين الرغبة والرغبة؛ والتعامل مع النصوص الشرعية بطرف دون الآخر يكون حينها الإنسان بين الغلو والتلاعب، وما بين الإفراط والتفريط؛ بل التعامل مع نصوص الوعد ونصوص الوعيد تكون بتوازن بين رجاء الرحمة والغفران، والرغبة من عذاب الله وسخطه؛ حتى لا يؤدي الأول إلى الاستهانة بالمحرمات والتلاعب بالواجبات، ولا يؤدي الآخر إلى اليأس من رحمة الرحمن الرحيم.

هذا التوازن أكد الله - سبحانه - عليه في كثير من آيات القرآن؛ فيذكر الجنة ثم يعقب بذكر النار، ويذكر وافدي الجنة ثم يذكر واردني النار، ويذكر رحمته وعفوه وغفرانه، ثم يذكر آيات عظمته ونقمته وجبروته؛ ليعيش العبد بين الحالتين؛ بين الرغبة والرغبة، والخوف والرجاء.

**تعالوا لنتأمل ميزان التعامل مع الله في هذه النصوص القرآنية:**

- ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

فجعل علاقتنا معه بين خوف عذابه الشديد وبين رجاء رحمته الواسعة.

- تجد في الأمة من الخطباء والوعاظ من يكون كل حديثه في خطبه ومواعظه عن الرحمة وسعتها والغفران وعفو الله، ويترك نصوص الترهيب؛ فيؤدي ذلك إلى التهاون في فعل المعاصي، والتفريط بالواجبات، ونقيض آخر تجد كل أحاديثهم عن النار والخوف والرهبة ولا يكاد يذكر نصوص عفو الله وأن العبد إذا أقبل على الله بتوبة صادقة فإن الله غافرٌ له ذنوبه مهما كانت؛ فيؤدي بهم إلى القنوط من رحمة الله؛ الأمر الذي يدفعهم إلى مواصلة الإعراض عن الله والبعد عنه.

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ففي هذه ترهيب وترغيب، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خير وطلب.

وكثيراً ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كما قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلْوَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣]. وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب؛ فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا؛ لينفع في كل بحسبه، ولتكون علاقة العبد متوازنة بين هذا وذاك.

لذلك تجد أن عدم ضبط وتوازن هذه المسألة؛ كانت سبب ضلال طائفتين؛ هما الخوارج والمرجئة؛ فالأولى أخذت آيات الوعيد والعذاب؛ فجعلت مرتكب الكبيرة كافرًا في الدنيا، وخالدًا مخلدًا في النار - إن مات قبل أن يتوب منها-، والطائفة الأخرى أخذت آيات الوعد والرحمة والغفران؛ فاعتقدت أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، لكن العقيدة الصحيحة السليمة، هي عقيدة أهل السنة وسلف الأمة من الصحابة وتابعيهم؛ وهو التوسط، حيث لا غلو أو تضييع، ولا إفراط أو تفريط؛ وحسبهم في ذلك الآيات التي ذكرناها وغيرها التي لم نذكرها، والأحاديث الصحيحة التي توازن بين هذا وذاك.



(٣٣)

## ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾

إن مما تقر به عين المسلم أن يكون أهله وذريته من أهل الاستقامة والصلاح؛ فيكونون عوناً له على الطاعة في دنياه، وفي آخرته يلحقهم الله به في الجنة؛ لتقر بهم عينه دنيا وآخرة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

الحرص على صلاح الذرية تجدها حاضرة في دأب الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم؛ فبصلاحهم يكون خيراً على خير؛ ومن هذه الآيات:

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْعَبِدَ الْأَصْنَامَ﴾ إلى أن قال إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤٠].

فانظر حرص إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على ذريته، حيث لم يقتصر على الدعاء لنفسه؛ بل دعا لنفسه ولذريته أن يجنبهم الله عبادة الأصنام، وأن يكونوا محافظين على أداة الصلاة.

بل إنك لترى في موقف آخر أن خليل الرحمن **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يكن حريصاً على ذريته التي عاشت معه فقط؛ بل إنه دعا لذريته إلى قيام الساعة؛ فقال الله على لسان خليله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]؛

وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد - صلوات الله وسلامه عليه - رسولاً إلى قريش وإلى العالمين جميعاً.

- يمدح الله نبيه إسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بعبادات كان يؤديها، ومنها حرصه وحثه أهله وذريته على العبادة ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

- خاتم الأنبياء يأمره ربه بالصبر على الصلاة وأن يأمر أهله بالمحافظة عليها ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلنَّاقِثِ ﴾ [طه: ١٣٢].

- وقص الله علينا قصة الرجل الحكيم الذي خلّد الله حكمه ووصاياه لابنه؛ حرصاً منه على صلاح ولده؛ فقال الله على لسان لقمان الحكيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. وبعد أن أرشده إلى أمر عظيم لأجله خلق الله السموات والأرض والخلق جميعاً؛ وهو توحيده لا شريك له؛ أرشده إلى مراقبة الله وأداء الواجبات، والتخلّق بمحاسن الأخلاق ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٦-١٩].

- وأمر كل واحد منا أن يكون حريصًا أشد الحرص على وقاية أهله عذاب جهنم؛ فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

فلم يقل اكتفوا بوقاية أنفسكم من النار، بل أمرهم بوقاية أهليهم كذلك؛ ليكونوا عونًا لهم على العبادة، وقرّة عيونهم في الآخرة.

- إن الحرص على صلاح الذرية والزوجات هو دأب وعمل الصالحين، الذين وصفهم الله بعباد الرحمن، فبعد أن ذكر صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان، ذكر أن من صفاتهم الحرص على صلاح الذرية والزوجات، والدعاء لهم بالصلاح ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

- بل إن صلاح الذرية من الأعمال التي يجري على المؤمن أجرها في قبره؛ كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم].



(٣٤)

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾

عبادة الثقة بالله في أصعب الظروف والمواقف لا يوفق لها إلا القليل من الناس؛ لكنك تجد هذه العبادة حاضرة عند أنبياء الله ورسله والصالحين؛ إذ تجدهم في ثبات عظيم وثقة عالية بالله عند أحلك الظروف وأشد المواقف، وقد ذكر القرآن الكريم عدة مواقف لأمثال هؤلاء الواثقين الثقة المطلقة بالله سبحانه؛ وإليك نماذج منها:

تأمل معي هذا الموقف العصيب؛ في رحلة بني إسرائيل هارين ليلاً من فرعون وجنده، تشرق الشمس على بني إسرائيل وإذ بالمفاجئة التي رأوا فيها الموت يحيط بهم من كل جانب؛ البحر المتلاطم الأمواج من أمامهم، وفرعون الطاغية بجنوده من خلفهم، وفي هذا الموقف العصيب على بني إسرائيل يصف الله حالة بني إسرائيل مخاطبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَلَمَّا تَرَأَوْا الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

عند عشرات الآلاف من بني إسرائيل أن المسألة انتهت هنا؛ لكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الواثق بالله يُعلنها مدوية واضحة ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]؛ لتكون نتيجة ذلك ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] فقبل لحظات يعلن بنو إسرائيل أن الموت محقق؛ لكن الله أراهم بعد لحظات أن

الموت المحقق لعدوكم وليس لكم؛ فعبر بنو إسرائيل البحر؛ وأغرق فرعون وجنده في صبيحة ذلك اليوم بلحظة واحدة كلمح البصر.

- تنتهي الحجج وتنعدم عند قوم إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بعد أن قال: اسألوا الأصنام لتخبركم من الذي قام بتكسيرها؛ قالوا حرقوه؛ لكن الحماية الإلهية تتدخل لتنقذ هذا الرجل الأمة الواثق بربه ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ **إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أنه كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.  
فكان الله حسبه وناصره ووكيله وحافظه.



(٣٥)

﴿نُثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

كان الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يضيق صدره بسبب ما كان يتعرض له من أذى قومه له، فهو بشر يعتريه ما يعترى البشر من الهم والضيق والحزن من كثرة الأذى وحملات التشويه والتضييق التي يشنها قومه عليه؛ فكان ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يثبّت قلبه ببعض المثبتات ويؤنس نفسه ببعض المؤنسات؛ ومن هذه المثبتات على طريق الدعوة، قصص الأنبياء الذين سبقوه في الدعوة والرسالة والابتلاء؛ لأن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد منافسة غيرها، وتقوى النفوس إذا علمت نصر وتمكين من سبقها؛ فكانت هذه القصص تثبته وتصبره وتؤنسه وتعطيه دوافع صبره واستمراره في تبليغ رسالة ربه؛ قال الله: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾ [هود: ١٢٠].

ألا تعلم أين وردت هذه الآية، وما الذي سبقها من آيات؟

وردت آخر سورة هود، وأتت بعد قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**؛ حيث عرض الله الرحلة الطويلة لهؤلاء في حقل الدعوة، وما لحقهم في هذه المسيرة من الأذى والابتلاء؛ فكانت عاقبة ذلك أن الله نصر هؤلاء الأنبياء؛ وحق العذاب بالمكذبين؛ فكانت هذه القصص تثبت فؤاد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتشرح صدره، وتعطيه العزيمة على مواصلة تبليغ رسالة ربه.

- بعد أن ساق القرآن قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر سلسلة الابتلاءات التي مر بها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ من رمي إخوته له في البئر، ثم حياة العبودية والرّق، ثم ابتلائه بزوجة العزيز واتهامها له بمحاولة إرادة السوء بها، ثم سنوات في السجن ظلماً؛ لكن العاقبة كانت -بعد سلسلة الابتلاءات- أن أصبح عزيز مصر؛ يتبوأ منها حيث يشاء؛ من رغد العيش، والنعيم، والجاه؛ ثم ختم الله القصة بقوله في آخر آية من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

فالنص القرآني يقول لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته من بعده؛ هذه القصة لكم فيها عبرة وتأمل؛ لتعلموا أن بعد البلاء تمكين، وبعد العسر يسر، وبعد الشدة فرج، وأن المسألة هي مسألة وقت يختبر الله فيها عباده المؤمنين؛ ليميز الله -في هذه المرحلة- الخبيث من الطيب، والمهتر المتزعزع من الثابت، والكاذب من الصادق، وصاحب المصالح المادي من المخلص؛ وليعلم هؤلاء الصادقون أن النصر قريب، وأن متاع وجبروت وقوة أعداء الدين عما قليل ستلاشى؛ فلا يخذعنك ويغرنك أيها المؤمن هيمنة هؤلاء وعُدَّتْهم وعتادهم ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].



(٣٦)

## ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

عندما يكون الداعية والمُصلح لوحده في مجتمعه تجد أن بعض هؤلاء الدعاة يجعل غربته ووحده و عدم وجود دعاة يأنس بهم، يجعل ذلك من العوائق التي يبرر بها فتوره عن الدعوة أو الذوبان بين أوساط الناس أو تؤدي به الانغلاق على نفسه؛ وهذه ليست في الحقيقة من العوائق، بل هي أعداء مصطنعة وعقبات صنعها الداعية لنفسه؛ وإلا فالداعية يكون أمة لوحده إذا استشعر أهمية القضية التي يحملها والرسالة التي يؤديها؛ وهي رسالة الدعوة هذه المهمة التي هي وظيفة الأنبياء والمرسلين.

يقص الله علينا قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه لم يتخذ من العزلة ومن السجن حجة لترك الدعوة؛ بل إنه في غياهب السجن كان داعية؛ يأمر وينهى، ويعظ ويدعو إلى التوحيد؛ فقال الله عنه: ﴿يَصْلِحِ السَّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

فيا أيها الداعية والمُصلح يا من تحمل وظيفة الأنبياء، تأمل معي موقف يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في مكان ضيق وكرب وعزلة عن رفاقه في الدعوة ومع

ذلك لم يتخذ من تلك الأعذار والتبريرات وسيلة لترك الدعوة؛ بل كان في السجن داعية ومُصلحًا، أمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر.

واعلم -أيضًا- أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام كان أمة وحده في مجتمع وثني يعبد الكواكب والتمثيل، ولم يتخذ من وحدته مبررًا لترك الدعوة وهدم الأصنام والوقوف أمام أهل الأوثان.

إليك أخي الداعية الذي تتخذ من غربتك ووحدة مبررًا؛ تذكر أنك لست غريبًا ما دام الله معك، وتذكر أنك لست بغربة أشد من غربة يوسف وهو في السجن.



(٣٧)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾

يعلم الله رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأمته من بعده القناعة وعدم النظر إلى ما مع الناس من أصناف الأموال والمتاع والمآكل والمشارب والزينة؛ فيقول له: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُوكُم مِّنْهُ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

فيقول الله؛ لا تنظر نظرة طامع وراغب إلى ما أعطى الله الآخرين من (أزواج)؛ أي من أصناف المتاع والملذات؛ لماذا؟

لأن القناعة كنز لا يفنى، ولأن الطمع وعدم القناعة بوابة من بوابات الحسد، ولأن هذا المتاع زائل لا يبقى، إنما المتاع الحقيقي الدائم الذي لا يزول هو متاع الجنة؛ لذلك لما كان هذا المتاع الدنيوي زائل، ولأجل أن يعلمنا الله القناعة وعدم إطالة النظر فيما في أيدي الناس؛ لفت الله أنظارنا، وأرشد نفوسنا إلى ما أعدده الله في الجنة لكل مؤمن مقبل على الله لم تغره زهرة الحياة الدنيا؛ فقال: ﴿ وَرَزَقُوكُم مِّنْهُ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ ﴾.

- ولأجل ترسيخ القناعة في قلب الواحد منا؛ ذكر الله حقارة الدنيا وزهد فيها، وقلل من شأنها، إذ أن المتاع الزائل هو زهيد قليل حقير مهما رأى صاحبه أنه كثير، وبالمقابل أرشد إلى المتعة الدائمة التي لا تفنى ولا تزول؛ فقال: ﴿ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النساء: ٧٧].

فالأرزاق مكتوبة، والمعاش مقسمة مسجلة محسومة، فارض بما قسمه الله لك ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ونهى الله عن تمني فيما أيدي الناس، ذاك التمني الذي يؤدي إلى الطمع فيما يد الغير والحسد له على ما أعطاه الله من مال أو جاه أو متاع أو زينة؛ فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

- الرضا والقناعة سهاها الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غنيًّا؛ فقال: «ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس» [حسنه الألباني من حديث أبي هريرة].

وفي حديث آخر ذكر أن عَرَضَ ومتاع الدنيا ليس هو الغنى؛ فقال في الحديث الذي رواه الشيخان: «ليس الغنى بكثرة العَرَضِ؛ إنما الغنى غنى النفس».



(٣٨)

﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾

الإيجابية وحب الخير للناس وعدم السلبية، هذه صفة حميدة خلد الله ذكر أصحابها في القرآن؛ لمواقفهم الإيجابية التي عملوها؛ فقال عن هذه النماذج الإيجابية:

- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].

فانظر إلى المواقف الإيجابية لهذه النملة؛ نادى بني جنسها أن يدخلوا مساكنهم؛ لأن سليمان آتٍ هو والآلاف من جنوده، فهذا الجيش - بعده وعتاده - لن يشعر أن في الأرض نملاً تدب على الأرض؛ لكنها هي كانت في مكان مرتفع رأت فيه الجيش قادم فحرصت على نجات قومها، ولم تكن سلبية فتكتفي أنها تنجو بنفسها؛ هذا موقفها الإيجابي الأول؛ وهو حرصها على نجات قومها وسلامتهم؛ والموقف الإيجابي الثاني أنها أحسنت الظن بسليمان وجنوده؛ فقالت: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فأحسنت الظن أن الجيش لو مر على قومها فإن ذلك العمل بدون شعور الجيش وبدون تعمد؛ فهل رأيت مثل هذا الموقف الإيجابي؟!

- موقف إيجابي آخر يسجله أحد الطيور؛ فينقذ الله به مملكة ومملكتها من الشرك والنار، وكان بإمكان هذا الطائر أن لا يسجل هذا الموقف كونه حيوان ليس مهمته الدعوة والإبلاغ؛ لكنه أبى إلا أن يكون نافعاً إيجابياً، يجب

الخير للناس، ولتكون له بصمة إيجابية في حياته؛ فقد رأى وهو يخلق في الجو أن مملكة سبأ وملكتها يسجدون للشمس من دون الله؛ فرجع مباشرة مبلغاً سليمان هذا النبأ اليقين، ومعتزاً على هؤلاء عملهم المشين؛ قال الله عن هذا الإيجابي ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٢-٢٤].

- في ليلة من الليالي، وفي وادي نخلة قرب مكة، يقرأ الرسول **صلى الله عليه وسلم** القرآن، وأثناء قراءته مر فريق من الجن بهذا الوادي، فسمعوا هذا الكلام العجيب الذي لم تسمعه آذانهم من قبل؛ فوصل إلى القلوب قبل الآذان، لكنهم عندما سمعوا القرآن لم ينته الأمر هنا؛ إنما كانوا فريقاً إيجابياً؛ فانطلقوا دعاء إلى قومهم حريصين عليهم، يدعونهم إلى دين الإسلام، وترك الديانة اليهودية التي كانوا عليها وقومهم؛ قال الله قاصداً علينا قصتهم وموقفهم الإيجابي ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا فُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وذكرهم الله في سورة الجن: ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢].

\* فاترك لنفسك بصمة في أي ميدان من ميادين الخير والنفع والعطاء؛

وكن ممن قال فيهم الشاعر:

قد مات قوم وما مات فضائلهم

ولا تكن ممن قال فيهم:

وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ



(٣٩)

## ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

إن طاعة الله ورسوله عبادة متلازمة لا تقبل التجزئة ولا التفريق؛ فقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله في كتابه الكريم؛ وهذه بعض آيات ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد:٣٣]. وقد وردت خمس آيات بهذا اللفظ.

وجعل الله لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حق التشريع؛ من الحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿وَمَا ءَأَنكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

من يدعي حب الله فإن علامة صدق وبرهان ذلك الحب أن يتبع الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وذكر أن شرط صحة محبة العبد لله أن يكون متبعا مقتديا بالرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأن أتباعه هو دليل برهان على حقيقة محبة العبد لله؛ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

ونهى الله تعالى عن تقديم أي أمر من أمور الدين على أمر الله ورسوله، وأن نكون سائرين خلف أوامر الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

ومن حسرات أهل النار؛ أنهم يتحسرون ويندمون على تفريطهم في طاعة الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ إذ تأكد لهم - وهم في النار - أن طاعة الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** المقترنة بطاعة الله هي سبيل النجاح والفوز، وأن معصيتها أوردتهم المهالك؛ قال الله واصفًا حالهم التعيس، وحسراتهم على عدم طاعتهم الله ورسوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا** ﴿٦٤﴾ **خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴿٦٥﴾ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ** ﴿٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].



(٤٠)

## ﴿ حَتَّى يَنْفُضُوا ﴾

التضييق على المصلحين مادياً، وتجفيف منابع المالية؛ لتنفيذ أتباع المصلحين، وإضعاف الدعوة إلى الدين؛ ربما يظن البعض أن هذه وسائل عصرية لمحاربة الدين وحملته؛ لكنك حين تنظر إلى بعض آيات القرآن؛ تجد أن هذه الحملات الداعية إلى التضييق المادي أسسها المنافقون في مدينة رسول الله ﷺ، وكانت الدعوة إلى عدم الإنفاق على صحابة الرسول ﷺ؛ لأجل أن ينفُضَ وينفِرَ الصحابة من نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

تأمل معي حال المنافقين السابقين تم قارنهم بتلاميذهم في هذا العصر وكيف تشابهت قلوبهم وأعمالهم ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧].

فأرادوا بهذا التضييق المالي أن يتفرق فقراء الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأن يتركوه.

لكنك تجد -أيها الداعية، وأيها السائر في سبيل الله- أن الله يطمئنك أن خزائن السموات والأرض لله ويده سبحانه، وليست بيد هؤلاء؛ فكن على يقين أن كيد هؤلاء في تضليل.



## المحتويات

- المقدمة ..... ٧
- (١) ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ..... ٩
- (٢) (المتبوعون والأتباع) ..... ١١
- (٣) ﴿أَحْيَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ..... ١٤
- (٤) (لعله خير) ..... ١٧
- (٥) (القرآن وحماية الفضيلة) ..... ١٩
- (٦) (الأدب مع الله) ..... ٢٢
- (٧) ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ ..... ٢٤
- (٨) ﴿وَيَأْتِ اللَّهُ﴾ ..... ٢٦
- (٩) ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ..... ٢٨
- (١٠) ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ..... ٣٠
- (١١) ﴿كَأَلَّتِي فَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ ..... ٣١
- (١٢) ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ ..... ٣٣
- (١٣) ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ ..... ٣٦
- (١٤) ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ ..... ٣٩
- (١٥) ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ﴾ ..... ٤٠

- ٤١ ..... ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ (١٦)
- ٤٥ ..... ﴿مَا بَالُ النَّسُوقِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (١٧)
- ٤٧ ..... ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (١٨)
- ٤٩ ..... ﴿مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ (١٩)
- ٥٠ ..... ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٢٠)
- ٥٢ ..... ﴿أَنْ رَّاهُ اسْتَفْعَى﴾ (٢١)
- ٥٤ ..... ﴿يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٢٢)
- ٥٦ ..... ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٢٣)
- ٥٨ ..... ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ (٢٤)
- ٦٠ ..... ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (٢٥)
- ٦٣ ..... ﴿نُنَخِّطُفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ (٢٦)
- ٦٥ ..... ﴿وَالسَّيْقُوتِ الْأُولُونَ﴾ (٢٧)
- ٦٧ ..... ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٢٨)
- ٧٠ ..... ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (٢٩)
- ٧٢ ..... ﴿يُنَوِّتُنِي لِتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٣٠)
- ٧٥ ..... ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (٣١)
- ٧٧ ..... ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (٣٢)
- ٨٠ ..... ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (٣٣)
- ٨٣ ..... ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ (٣٤)
- ٨٥ ..... ﴿نُشِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (٣٥)

- ٨٧ ..... ﴿٣٦﴾ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿
- ٨٩ ..... ﴿٣٧﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴿
- ٩١ ..... ﴿٣٨﴾ وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴿
- ٩٤ ..... ﴿٣٩﴾ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿
- ٩٦ ..... ﴿٤٠﴾ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴿

# صَدْرُ الْكُتُبِ

